

فن الضيافة

كما هو وكما يجب أن يكون

كانت الضيافة في مصر من عاداتنا القومية قبل أن يطغى علينا التيار العصري ، فإن لفظة " مندره " هي تحريف كلمة " منظره " أى الغرفة التى أعدت للانتظار ، والمعنى المقصود هنا انتظار الضيوف ، ولا يزال للمنظره شأنها في قرى الريف إلى وقتنا هذا حيث يجتمع الأصدقاء والمعارف والغرباء برب البيت .

ولكن التيار العصري أشاع بيننا القهوات والحانات والأندية بغذبتنا من بيوتنا إليها ، وهذه الأماكن قد زادت الانفصال بين الجنسين ، لأن الرجل صار يفارق زوجته إليها حيث يحدخلانه من الرجال ، في حين أن أسلافنا كانوا كثيرا ما يعملون الاجتماع في المنظره اجتماعا عائليا لأن كثيرا من الضيوف كانوا من الأقارب الذين لم يكونوا يحدون حرجا في الاختلاط ، ولذلك لا نخطئ إذا قلنا إن الضيافة كانت قبل أربعين أو خمسين سنة تمارس في مصر أكثر مما تمارس في الوقت الحاضر ، وأنتا نحن الرجال إذا كنا نكتب بالاختلاط بزملائنا من الرجال في القهوه أو النادي فأننا بلا شك نخسر بحرماننا من ذلك الاختلاط العائلي الذى كان يعرفه أسلافنا في المنظره .

ولست سببة الكرم من السجايا التى تنقصنا . بل إذا كان هناك نقص فهو نقص الاسراف ، لأننا كثيرا ما نعقد الحفلات فتنفق فيها ونقبدخ . وقد يقع أحدها في الديون المرهقة لأنه تحمل من كرم الضيافة ما لا يطبق في ليلة زفاف أو أى احتفال آخر . ولكن هذا الكرم يخرج عن المعنى الذى تقصد ، لأننا نريد كرما مترونا يخدم الاجتماع دون أن يضر الفرد ، ويزيد الألفة والتحاب والتعارف بين الناس دون أن يتحمل من التكاليف ما لا قبل لهم به .

ولست الضيافة مع ذلك طعاما أو شرابا . وإنما هي قبل كل شئ مؤانسة وتعارف يؤدىان إلى زيادة النور والفهم والحب . ولذلك يجب ألا تكون ضيافتنا حفلات يتكلم فيها الطعام والشراب . لأن مثل هذا العمل يضطرنا بطبيعة ما ننفق عليه أن نقتل منه ، ونبعد بين قراته فلا نستضيف الضيوف إلا مرة في كل شهرين أو ثلاثة أشهر . ثم مثل هذه الحفلات

لوفرة ما ننفق عليها تجمع العدد الكبير من الضيوف الذين لا يتعارفون لكثرتهم التعارف الذي يعقد بينهم بأواصر الصداقة للمستقبل .

ولذلك يجب أن تكون ضيافتنا قليلة الطعام والشراب تتكرر في الفترات القصيرة مرة كل أسبوع مثلا . كما يجب أن يكون أساسها التعارف المفيد الذي يرق بالأسرة رقباً اجتماعياً وثقافياً . وربة البيت هي بالطبع صاحبة الشأن الأول في الضيافة . وقد تنشأ هنا عقدة وهي : هل تقوم ضيافتنا على الانفصال بين الجنسين أم الاختلاط ؟

ولكن حل هذه العقدة ليست لها قاعدة عامة تشمل جميع البيوت . وصحيح أن الاختلاط قد أصبح حقيقة واقعة لا يستطيع نكرانها أحد . ولكن أوساطنا الاجتماعية تختلف . فهذا بيت قد مرن على الاختلاط ونشأ فيه الأولاد كأنه الجو الطبيعي لم لا يجدون فيه غربة أو حرجا . وهذا بيت آخر لا يزال يتشبث بالانفصال . وثم ثالث قد أخذ ببعض الاختلاط . فلكل بيت قواعده وأسايبه في هذا الموضوع . ومما لا نشك فيه أن الاختلاط رويدا رويدا يتغلب على الحجاب . ولذلك يحسن بنا أن ننظمه ونرعاه بالقواعد التي تصونه من الابتدال وتجنبه مهاوى الشطط . وليس من العقل والحكمة أن نتجاهله وهو يفش في أوساطنا . ووقت الضيافة في بلادنا يجب أن يبدأ في الخامسة مساء ، وقد يمتد إلى العاشرة . ففي هذا الحال لا يمكن أن تقنع بتقديم القهوة للضيوف كما يجب أن يكون أثاث الصالون بحيث يرنح عليه القاعد الساعة أو الساعتين . وليس هذا مع الأسف حال الأثاث في معظم صالوناتنا . فإنا نضعها للبرجة ونطلب فيها اللعة والأبهة قبل أن نطلب الراحة . ولذلك تعطف الكراسي إلى جدران الغرفة ويبقى وسطها كأنه الفناء الخالي ، مع أن الضيوف يحتاجون للسامرة فيجب أن تكون الكراسي قريبة بعضها من بعض ، كما يجب أن تكون خفيفة يسهل نقلها ووطيئة لكل منها مسند يستطيع القاعد أن يجد فيها راحته ولا يسأم أو يكل من قعده .

وهناك من الضيوف من يؤثر القهوة على غيرها . ولكن إذا امتد الحديث ساعتين أو ثلاثا فان فئانا واحدا من القهوة لا يفي بالضيافة . ثم هناك آخرون ممن لا يستمرئون القهوة . ولذلك يجب على ربة البيت التي تعين يوما في الأسبوع لضيافتها أن تضع في صالونها ثلاث موائد إحداها للقهوة مع اللبن والفاصل من الكعك ، وأخرى للشاي ، وأخرى للأشربة الباردة المثلجة . وبالطبع يمكن أن يغير هذا الترتيب حتى يتفق وعدد الضيوف والاعتبارات الاقتصادية . فان الأسرة الغنية تستطيع أن تقدم المثلجات الغالية والأشربة المعطرة في حين تقنع الأسرة الفقيرة بالشاي الساذج . ولكن يجب ألا ننسى أن امتداد السهرة يحتاج إلى قليل من الطعام على كل حال .

على أن الذي يجتمع للضيوف ليس هو الطعام أو الشراب ، وإنما هو الرغبة في المؤانسة والتعارف . وإذا ساد العزم بين المجتمعين لقلة ما يحفزهم على الحديث فان وفرة الطعام لن تغني

عن هذا الخرس الاجتماعي . ولذلك يجب أن تفكر ربة البيت في موضوع المصارعة وأن تبقى متيقظة إلى إحيائها كما رأت عليها أمارات الفتور أو الموت . كما عليها أن تجمع بين ضيوفها وتصل بينهم بالترفيف . ومما يكفل حياة الاجتماع في الضيافة أن يياً موضوع للدرس كأن يكلف أحد الأشخاص التحدث إلى الحاضرين عن اختبار وقع له أو موضوع درسه أو حتى شرح كتاب حديث . فإذا ألقى كلمته أخذ الحاضرون في مناقشته . وليس هذا العمل بالطبع ممكناً كل أسبوع ، ولكن يمكن الالتجاء إليه من وقت لآخر حتى يكتسب البيت سمعة من الرزانة والوقار .

وهناك كتب كثيرة في فن الضيافة في اللغات الأوروبية . ولكنها وضعت لوسط يختلف بعض الشيء عن وسطنا ، ولذلك لا يمكن أن نعمل بها . على أن هذا لا يمنعنا من الانتفاع بها . وهذه الكتب ترشد ربة البيت إلى السلوك الذي يجب أن يتخذ في الضيافة وعن الأطعمة والأشربة وبعض المسليات التي يمكن ممارستها إذا فتر الحديث ونحو ذلك . وحبذا الضيافة لو أن بيوتنا تعود كما كانت أيام جدودنا أماكن للتؤانسة والمصارعة فنستغنى بها عن القهوة والنادى والحانة .

— الحكمة قوام الخير الجباص ، ودعامة الخير العام .

شوقي

— آلة الرياضة سعة الصدر .

— ازجر المصء بثواب المحسن .

— اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

— من كفارات الذنوب إغاثة الملهوف والتنقيس عن المكروب .

على بن أبي طالب